م/ أهم سلبيات التعليم الأليكتروني في العلوم الشرعية (مادة قواعد التلاوة أنموذجا)

م. د. ميسون صباح داود

قسم علوم القرآن

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه الى يوم الدين.

أما بعد

فان للوسائل الإلكترونية الحديثة إيجابيات كثيرة في مجال التعليم والتعلم، حيث توفر تكنولوجيا الرقمنة تطبيقات كثيرة، منها تقديم المادة التعليمية في صورة مزيج تفاعلي بين النص والصوت والأشكال الثابتة والصور المتحركة، ومنها تطبيقات النص التشعبي حيث يتمكن الطالب من التنقل عبر الروابط السريعة إلى مواضع أخرى داخل النص وخارجه، ومنها التشعب الوسائطي، حيث يتم التشعب بجميع أنواع الوسائط لا بالنص فقط، ولقد انتشرت في السنوات الأخيرة أنواع من هذا التعليم غير التقليدي، تعتمد على وسائل تعليمية حديثة، وتتخذ من التقنيات الحديثة أساساً في عمليتي التعليم والتعلم، ومن ذلك "التعليم عن بعد" من خلال الشبكة العالمية الإنترنت، وهو نوع يندرج تحت ما يسمى بالتعليم غير المتزامن، حيث يتمكن المتعلم من الحصول على الشهادات العلمية في المجال الذي يحبه عبر ما يتوفر من وسائل حديثة كالمحاضرات المرئية عبر الإنترنت، والمسجلة في الأقراص المدمجة، والمناهج التي تتم متابعة تعلمها عبر المراسلة والتواصل الإلكتروني

ومن ذلك المدارس الذكية أو المدارس الإلكترونية، وهي المدارس التي تعتمد على الحاسب الآلي الكمبيوتر وتتخذه نظاما أساسيا في عمليتي التعليم والتعلم، بمختلف تطبيقاته، حيث تستعمل أجهزة الحاسب وسيلة ثابتة في الموقف التعليمي باستغلال جميع إمكانياته المتنوعة.

وللعلوم الشرعية طبيعتها وخصائصها وأهدافها التي تنبغي مراعاتها في الوسائل الحديثة للتعليم، ولا سيما مع نمو التوجه نحو التعليم الإلكتروني، ومع زيادة المواقع الإلكترونية على الشبكة العالمية الإنترنت التي تقوم بتعليم العلوم الشرعية بأسلوب التعليم عن بعد، وتمنح الشهادات والدرجات العلمية.

ان العلوم الإسلامية تتعلق بتكوين شخصية الفرد وعقله ونفسه ومنهجه الفكري، فهي علوم تحمل الصفتين صفة العلم وصفة التربية، بخلاف العلوم الطبيعية، والتربية في الغالب تحتاج إلى بيئة تربوية، تتعدد فيها المواقف التربوية، وتتمثل تلك البيئة في مراحل التعليم في الفصل من الزملاء المتعلمين والمعلم والمدرسة أو الجامعة أو حلقات العلم والكتاتيب، وهنا تظهر مشكلة التعليم عن بعد أو التعليم الإلكتروني إذا كان لا يوفر تلك البيئة، وعدم الاهتمام بالجانب التربوي عموماً، وفي تعليم العلوم الشرعية خصوصاً، له آثار خطيرة؛ لأن (التربية هي مدخل التعليم وأساسه، وبدون التربية لا يكون البناء التعليمي قائماً على أساس، ويكون حينئذ إلى الانحدار والسقوط أسرع منه إلى العلو والشموخ، فالفصل بين التربية والتعليم قتل لهما على

التو والفور)، وخصوصاً إذا حدث هذا الفصل في العلوم الشرعية؛ لأنه سيؤدي إلى زيادة كبيرة في نسبة ظهور الشخصيات التي تحمل ألقاباً علمية كبيرة لكنها منحرفة ومضللة،

يُشترط في نقل العلوم الشرعية عدالة الناقلين، مع اختصاص رواية الحديث الشريف بشروط خاصة معروفة، فلا يؤخذ العلم الشرعي عن كافر أو مبتدع أو فاسق أو مجهول الحال، سواء في مجال رواية الحديث والقراءات، أو في مجال الفقه وما يشبهه من العلوم الشرعية

بخلاف العلوم الطبيعية، كالطب والهندسة والكيمياء واللغات وغيرها من العلوم الطبيعية، فمجال التعلم فيها من غير المسلم - إذا كان ثقة في مجاله مأموناً - مجال واسع مفتوح، وقد جعل الرسول _صلى الله عليه وسلم_ فداء الأسرى من الكفار أن يعلّم الواحد منهم عشرة من أبناء المسلمين الكتابة والقراءة.

ومن ثم لا يصح - في تعلّم العلوم الشرعية - الاعتماد على وسائط إلكترونية تعليمية تضعها شركات غير مسلمة إلا إذا كان دورها قاصراً على الجانب التقني أو الفني.

ولا يصح السعي لزيادة الثقافة الفقهية والعلوم الشرعية من مواقع ذات توجهات غير صحيحة أو تعصبية أو تابعة لمذاهب مبتدعة وتيارات ضالة.

ولا يصح أن يجمع المبتدئ من شبكة الإنترنت كل ما يراه من كتب إلكترونية شرعية ومواد وبحوث، ويعتمد عليها إلا بعد أن يطمئن إلى مصدرها، ثم يتأكد أهي نسخ معتمدة مدققة يوثق بها، أم من جمع الهواة وغيرهم، فإذا كان مجال النشر الورقي، من كتب ورسائل، يقع فيه كثير من التجاوزات العلمية والأخطاء، وتنتشر فيه الطبعات التجارية غير المحققة ولا المدققة، وهو مجال لا يتيسر لكل أحد الخوض فيه لتكاليفه المالية وغيره، فما ظنكم بالنشر الإلكتروني الذي يستطيع من خلاله كل من تروق له فكرة أن ينشرها صحيحة كانت أم باطلة!

ومجال النشر الإلكتروني سهل إلى الدرجة التي صار الأمر فيها بلا ضابط ولا رابط، فكل من أراد نشر شيء وضعه في صورة كتاب ونشره عبر الشبكة، وطالب العلم الناشئ إذا لم يكن على منهج سليم في تلقي العلم الشرعي أو لم يكن له شيخ يوجهه، أو معلم ناصح يرشده؛ فقد يخبط خبط عشواء بين مواقع لا تلتزم بالمنهج العلمي الصحيح، أو تخلط الحق بالباطل، ومثال ذلك مواقع خاصة بعلامات الساعة، لا يُعرف من هم أصحاب كثير منها، ولا تتبع منهجاً صحيحاً، وتدمج الآراء الشخصية بالعبارات العلمية، والخرافات بالأحاديث، وتنزل النصوص تنزيلاً مباشراً على الأحداث دون علم ولا دليل، وهنا يتوجب على معلم العلوم الشرعية التنبيه على خطورة هذه الأمور وارشاد الطلبة الى المصادر الموثوقة والآمنة لاستقاء المعلومات الدقيقة للعلوم الشرعية.

ومن أهم معوقات العملية التعليمية في التعليم الاليكتروني لمادة قواعد التلاوة مثلا هو عدم تطبيق الاحكام عمليا أمام الطلبة وأن حصل أن استخدم المعلم احد البرامج للقاء طلابه لم يتمكن الجميع من مشاهدته اما لضعف شبكة النت أو بطؤ تحميل البث أو ربما الخلل في البرنامج المستخدم لهذا الغرض

وكما هو معروف في مادة قواعد التلاوة يحتاج المعلم الى اظهار مخارج الحروف في جهاز النطق مثل كيفية تحريك اللسان لتطبيق أحكام التلاوة، فإذا تدرب الطالب مثلاً على التعامل مع الحاسوب والأجهزة الذكية، واستطاع بمهارة أن يتجاوب مع وسيلة التعليم المستعملة فيها، فهذا لا يعني أنه اكتسب مهارة تطبيق أحكام التجويد في تلاوته، مثله مثل التعليم النظري تماماً، إلا إذا كان التطبيق هدفاً في تعليم المادة، ووُظفت الوسيلة توظيفاً هادفاً يحدد دورها في خدمة الأهداف التعليمية.

اعتماد العلوم الشرعية، ولا سيما علوم القراءات، على المشافهة المباشرة بين المعلم والطالب. ففي الماضي كان طالب العلم الشرعي بين أمرين، بين أن يتلقى العلم من أفواه العلماء وعلى أيديهم، مهما اختلفت طرق المعلم ووسائله في التعليم، وبين أن يتلقاه وحده من الكتب والصحف، والطريقة التي يعتد بها العلماء هي الأولى، أما الثانية فلا يعتدون بها في تأسيس العلماء؛ لما في ذلك من آفات كثيرة، أخطرها سهولة الوقوع في انحراف الفهم، لأن في العلم غوامض لا يمكن لمبتدئ في الطلب أن يصل لفهمها وحده، ومشتبهات لا يقدر على السلامة من الضلال فيها بمفرده. قال الخطيب البغدادي: الذي لا يأخذ العلم من أفواه العلماء لا يُسمى عالماً، ولا يُسمى الذي يقرأ من المصحف من غير سماع من القارئ قارئًا، إنما يسمى مصحفياً

ولذلك رأى العلماء أن التلقي المباشر أساس في طلب العلم؛ لما فيه من فوائد لا تتوفر في غيره من طرق الاتصال، كالكتاب والرسائل قديماً، والوسائل الإلكترونية حديثاً. وقد كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يتلقى العلم عن جبريل - عليه السلام -، قال - تعالى -: (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى) [النجم: ٥]، وكان جبريل - عليه السلام - يعارض الرسول - صلى الله عليه وسلم - القرآن كل عام في شهر رمضان، وتلقى الصحابة العلم مشافهة من النبي - صلى الله عليه وسلم -، وتلقى الصحابة بعضهم من بعض مشافهة. ولم يزل هذا دأب العلماء الراسخين في بدء طلبهم للعلم، يتلقون العلم مشافهة من العلماء، وحينما تقرأ ترجمة لعالم من العلماء تجد فيها فقرتين الأولى لذكر شيوخه الذين تلقى عنهم وسمع منهم، والأخرى لتلامذته الذين تلقوا عنه. فالمشافهة المباشرة هي (أقوى وسيلة للاتصال ونقل المعلومة بين شخصين، ففيها تجتمع الصورة والصوت بالمشاعر والأحاسيس، "حيث تؤثر على الرسالة والموقف التعليمي كاملاً وتتأثر به، وبذلك يمكن تعديل الرسالة وبهذا يتم تعديل السلوك ويحدث النمو (تحدث عملية التعلّم)

هناك سلبيات لاستخدام الحاسوب في التعليم من أهمها افتقاده للتمثيل (الضمني) للمعرفة. فكما هو معلوم فإن وجود المتعلم أمام المعلم يجعله يتلقى عدة رسائل في اللحظة نفسها من خلال تعابير الوجه ولغة الجسم، والوصف، والإشارة، واستخدام الإيماء، وغيرها من طرق التفاهم والتخاطب (غير الصريحة)، والتي لا يستطيع الحاسوب تمثيلها بالشكل الطبيعي).

الجانب التربوي أيضا: لما كانت العلوم الشرعية - كما سبق - لها خصوصية في التعلم والتعليم، وأنها ليست علماً فقط إنما هي علوم تحمل الصفتين العلم والتربية (التزكية)؛ فإن الوسائل التعليمية لا يمكن أن تعوض ما يملكه المعلم من عناصر تربوية في تعامله المتزامن المباشر مع المتعلم في التربية؛ لأن هدف العلوم الشرعية وغايتها هو العمل، والعمل يتأصل في النفوس بالقدوة عبر المعلم،

كما أن للتعامل المباشر مع البيئة المحيطة دوراً في التربية، وهو ما يتوفر في مجامع العلم والمدارس وحلقات العلم والمحاضرات في المساجد، حيث يوجد زملاء الدراسة، وتتعدد المواقف التربوية جراء التفاعل المتزامن في الموقف التعليمي بين المعلم وتلاميذه، وفيما بين التلاميذ، ولا يتوفر ذلك في وسائل التعليم الإلكترونية عبر الإنترنت والتعلم عبر الحاسوب.

ومن الملكات التي تنبغي تنميتها في طالب العلم الحفظ، فهو يحتاج إلى قدر غير قليل من المحفوظات الشرعية من نصوص القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، وأقوال الصحابة والتابعين، وأقوال العلماء ومذاهبهم، وغير ذلك مما هو معروف، ولا يتصور أن يعتمد المتخصص على الحاسوب المحمول لاسترجاع مثل هذا القدر من الأساسيات المهمة في تكوين شخصيته العلمية،

من المهارات المهمة كذلك مهارة البحث في المراجع والموسوعات المطبوعة، فالاعتماد على البحث السريع الذي توفره تقنية الحاسوب، مع ما لها من فوائد جمة للباحثين، لها سلبياتها في طالب العلم لا سيما المبتدئ، فقد تقلل من همة الطالب في طلب العلم من مظانه الأساسية، والبحث في المكتبات، وقراءة المطبوعات، والصبر على الاطلاع المتأني فيها، وبذل الجهد في قراءتها وتصفحها، وفي ذلك فائدة تربوية مهمة، وهي تقدير قيمة العلم، ومعرفة قدر العلماء، وثبات ما توصل إليه في قلبه ورسوخه، وهذا لا يوفره الحاسوب، فهو يخرج نتائج البحث للطالب من مجموعة كبيرة من الكتب والموسوعات بسرعة مذهلة، وقد يستخرج من ذلك أقوالاً للعلماء لا تظهر في سياقها الكامل فيخطئ الطالب في فهمها، وقد يستدل بقول عالم في ذلك وهو لم يقرأ ولو مقدمة كتابه.

يقول أحد الخبراء في هذا المجال: "ومن الناس من أبهرتهم النتائج الهائلة التي أمكن الوصول إليها عن طريق الوسائل التعليمية، ونادوا بأن الوسائل التعليمية تغني عن الكتاب وتحل محله، وهذا الرأي متطرف للغاية، وفيه تحمس ضار؛ إذ إنه رأي لا تؤيده الحقائق، فالقراءة ستظل ركناً أساسياً من أركان التربية السليمة، وما الوسائل التعليمية إلا مجموعة من طرق التدريس المختلفة العديدة، يستخدمها المدرس لأغراض مختلفة، من أهمها أن تعينه على توضيح ما في الكتاب.

والوسائل التعليمية مهما تطورت لا يمكن أن تغني عن المعلم، ولا يصح أن يتعاظم دورها على حساب دور المعلم، وهذا ما يؤكده كثير من المتخصصين وهنا يحتاج المعلم أمام وسائل التعليم الحديثة، ولا سيما فيما يتعلق بالعلوم الشرعية، إلى الدراسات والبحوث التي تحدد العلاقة بين دوره ودور الوسائل الحديثة، بحيث لا يكون استعمال الوسائل الحديثة على حساب دور المعلم، وحتى لا تطغى الوسائل الحديثة بسبب ما يواكبها من تطور وما لها من إمكانيات متقدمة ومؤثرة، ولكي يبقى دورها دائماً دوراً خادماً مساعداً في العملية التعليمية.

وقد يصلح التعليم غير المتزامن فيما بعد مرحلة التأسيس، حيث يساهم في تطوير المهارات وزيادة العلوم والثقافة، ولكنه لا يصلح في مرحلة التأسيس، حيث يفتقد التعليم غير المتزامن لعناصر تعليمية كثيرة كما سبق،. خلاصة الرؤية: - لا ينبغي أن نقع تحت تأثير إيجابيات التقنيات التعليمية الإلكترونية ونغفل عن آثارها السلبية والعمل على معالجتها. - ينبغي أن تراعي الدراسات الخاصة بالتعليم الإلكتروني طبيعة العلوم الشرعية وخصائصها. - الوسائل

الإلكترونية لا يصح أن تكون وحدها طريقاً للتعلم وتخريج المتخصصين في العلوم الشرعية. - الاهتمام بتوجيه الطلاب الذين يستعملون أسلوب التعليم الإلكتروني إلى استخدام المراجع المطبوعة في بحوثهم، ويمكن اشتراط ذلك في بعض البحوث لتدريب الطلاب على البحث الأصيل والقراءة، ووضع البحوث المكتوبة بخط اليد موضع الاهتمام. ؛ لما لذلك من فوائد جمة. - لا بد من تأكيد دور المعلم وتعزيزه مهما تطورت الوسائل التعليمية وظهرت أنواع جديدة، وخصوصاً مع التوجه الحثيث نحو التعليم الإلكتروني، وأن تكون الوسائل الحديثة أداة في يد المعلم أو تحت إشرافه، يوجهها ويتحكم فيها بما يتناسب وطبيعة العلوم والمرحلة والمتعلمين. - يمكن للمعاهد والجامعات التي تعتمد على أسلوب (التعليم عن بعد) أن تعوض بعض ما تفتقده من مميزات التعليم المتزامن بأن تقيم لقاءات علمية دورية بين الطلاب والأساتذة والعلماء